الفصل الثانى

من أوجه الإعجاز فيما ورد ذكره عن الحضارات المعمارية السابقة

قص علينا القرآن الكريم من خلال بعض سوره وآياته قصصا لحضارات جاءت قبل بعثة النبى الخاتم ﷺ، وقد أوضح العلماء والمفسرون قصة الصراع بين الحق، متمثلا فى رسل وأنبياء الله ومن اتبعوهم بإحسان وبين الباطل متمثلا فى القرى والأقوام الظالمة التى كفرت بأنعم الله وصدت عن سبيل الحق، فى محاولة منهم لإظهار الدروس والعبر التى حواها القصص القرآنى مصداقا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1]، ولم يكتف القرآن بذلك بل أمر المسلمين بالسير فى الأرض والنظر فى آثار الأمم السابقة وكيف كان عاقبة المكذبين بالرغم مما وصلت إليه هذه الأمم من تقدم حضارى وعمرانى لم يغن عنها من الله شيئا، ونلمح هذا الأمر والمعانى السابقة فى قوله سبحانه وتعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

لقد حمل القصص القرآنى فى طياته العديد من الضوابط والمفاهيم الخاصة بعمارة وعمران الأرض، والتى تعتبر بمثابة القواعد والأسس التى يسترشد بها المسلمون فى كل زمان ومكان من أجل عمارة الأرض العمارة الصالحة الفاضلة، كما

---

(١) سورة يوسف: من الآية (١١١).

(٢) سورة الروم: الآية (٩).

أرادها الله سبحانه وتعالى وأكد عليها رسله وأنبيائه فى دعوتهم على مر العصور، فهاهو القرآن الكريم يلفت النظر إلى ما حدث لثلاث حضارات معمارية كبرى حادت عن طريق الحق وطغت فى البلاد وبطرت معيشتها حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾[1].

وفيما يلى سنحاول توضيح بعض أوجه الإعجاز القرآنى فيما ورد ذكره عن الحضارات المعمارية الثلاث التى ذكرت فى سورة الفجر.

أولا: الإعجاز فيما ورد ذكره عن حضارة عاد المعمارية:

بالنسبة لقوم "عاد" فقد كانوا يسكنون الأحقاف، وهى جبال الرمل، وكانت باليمن بين عمان وحضرموت[2] [4]، وكانت لهم حضارة معمارية عظيمة وصفتها الآيات القرآنية بأنها لم يخلق مثلها فى البلاد فاغتروا بنعم الله عليهم واستكبروا فى الأرض، وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾[3]، ومن نماذج الممارسات الاعمارية الفاسدة أنهم أقاموا مبانى العبث والفجور وقد أخبر بذلك القرآن الكريم على لسان نبيهم سيدنا "هود" مستنكرا عليهم ذلك فى الآيات الكريمة التالية: ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ۝١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ۝١٢٩ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ۝١٣٠ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[4]، فالله سبحانه وتعالى ينعى على "عاد" قوم "هود" أنهم

---

(١) سورة الفجر: الآيات من ٦-١٤.

(٢) الحافظ ابن كثير (١٩٨٢). قصص الأنبياء، دار الحديث، القاهرة، ص ٨٩.

(٣) سورة فصلت: الآية ١٥.

(٤) سورة الشعراء: الآيات ١٢٨-١٣١.

كانوا يبنون بكل ريع، أى مكان مرتفع، آية أى بناءا ظاهرا كالعلم لقصد العبث بمن يمر فى الطريق من الناس، وفى ذلك استخدام للأبنية فى غير ما شرع الله بناءها، كما يفهم من الآية أيضا أنهم كانوا يبنون فى الأماكن المرتفعة ليعرف بذلك غناهم تفاخرا فنهوا عنه ونسبوا إلى العبث.

وبذلك يمكن القول بأن استنكار الآيات السابقة للسلوك الاعمارى لقوم عاد يتركز على قضيتين أساسيتين متلازمتين نتجتا عن اضطراب فى التصور العقائدى[1]:

- القضية الأولى: عبثية الغاية من البناء والاعمار، فعاد قد بنت المبانى العظيمة بقصد المباهاة وإظهار القوة ولم تبن للحاجة ولا لغرض سليم، ولهذا استنكر عليهم نبيهم عليه السلام ذلك، لأنه تضييع للزمان واتعاب للأبدان واشتغال بما لايجدى فى الدنيا ولا فى الآخرة.
- القضية الثانية: غياب التصور الصحيح الذى تستند عليه الممارسات الاعمارية، فالبناء والاعمار إنما هو لسد خلة البانى وحاجته فترة بقائه وبنيه فى هذه الدنيا، لذا فالمبالغة الشديدة فى البناء حتى يظن أن البانى مخلد فى دنياه يتضمن بذل للأموال واتعاب للأبدان وإشغال للوقت عن المهمة الأعظم والدور الأكبر من تعبيد الخلق لبارئهم والإعداد ليوم لقائه.

من أوجه الإعجاز العلمى فى حضارة عاد المعمارية:

١ - العلامات المميزة كأحد عناصر التصميم البصرى:

من الناحية العلمية فان الآية (١٢٨) من سورة الشعراء قد احتوت على أحد المفاهيم والعناصر التى يتم استخدامها فى عملية التصميم الحضرى Urban Design

---

(١) أنظر كلا من: * عبد الجليل أبو ضمرة (٢٠٠٣). فقه الاعمار وضوابطه فى الفقه الاسلامى. مؤتمر الاجتهاد فى قضايا الصحة والبيئة والعمران، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك-اربد، الأردن.

* أحمد محمد السعد (٢٠٠٣). ضوابط بناء المساكن فى الفقه الاسلامى. مؤتمر الاجتهاد فى قضايا الصحة والبيئة والعمران، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة اليرموك-اربد، الأردن.

حديثا، وهو ما يطلق عليه مسمى "العلامات المميزة" Land marks ، وهى عبارة عن مبانى أو عناصر معمارية تكون ظاهرة للناس كمعالم بصرية داخل القرى أوالمدن يتم الاستدلال بها على معالم الطرق والمدن.

ولكى يمكن إطلاق لفظ "علامة مميزة" على مبنى أو عنصر معمارى فانه يجب أن يتصف ببعض المظاهر والصفات التى تؤهله لذلك، تنحصر أساسا فى شيئين هامين: أولهما اختيار موقع هذا المبنى أو العنصر المعمارى فى مكان يؤهله للقيام بدور العلامة المميزة، وثانيهما أن يكون شكله الخارجى ملفتا للنظر ومميزا، وبذلك يحصل المبنى على صفات بصرية معينة وذات رسائل محددة تفيد فى التعرف عليه بصريا وتميزه عما حوله من مبانى أخرى.

وبالرجوع لما ورد بالآية الكريمة فإننا نجد أنها أشارات إلى المعيارين السابقين الواجب توافرهما فى العلامات المميزة، وأول هذه المعايير أن عاد كانوا يبنون بكل مكان مرتفع (ريع) أى أنهم اختاروا المواقع الهامة والمرئية بالنسبة لجميع الناس أو غالبيتهم، وثانيها أنهم كانوا يبنون بهذه المواقع الهامة مبانى غاية فى الجمال والإتقان لدرجة أنها وصفت بأنها "آية" أى رائعة الشكل، وبذلك أصبحت هذه المبانى "علامات مميزة" يمكن الاسترشاد بها أثناء السير أو المرور عليها، ولكن عيبها الوحيد أنها لم تبن لتأدية وظيفة نافعة بل كانت تبنى للعبث والفجور وقطع الطريق على الناس.

ولكى نقرب فكرة العلامات المميزة كما كانت فى حضارة عاد فإننا نستشهد هنا بمثال معروف من مدينة القاهرة، ونقصد تحديدا "مسجد محمد على باشا" الكائن فى قلعة صلاح الدين الأيوبى، فلقد تم اختيار موقع هذا المسجد بهضبة عالية نسبيا عما يحيط بها من مدينة القاهرة القديمة، شكل (٤)، ثم تم بناء مسجد محمد على الطراز العثمانى والذى يتميز بوجود قبة كبيرة تغطى قاعة الصلاة، ويحيط بالمسجد أربعة مآذن عالية مما يعطى للمسجد من الخارج شكلا معماريا جميلا ومميزا جدا فى نفس الوقت، لذلك فقد أصبح كعلامة مميزة ترى من العديد من مواقع القاهرة

القديمة، أو امتداداتها خاصة قبل انتشار المبانى العالية الحديثة، وقد كان نتيجة هذا التميز لموقع مسجد محمد على وشكله الخارجى أن محافظة القاهرة قد اتخذته رمزا وشعارا للمحافظة ككل، وهو ما يؤكد أهميته كواحد من أهم العلامات البصرية المميزة فى مدينة القاهرة.

شكل (٤): مسجد محمد على بقلعة الجبل بمدينة القاهرة القديمة، يعتبر من أهم العلامات البصرية المميزة بمدينة القاهرة[1].

ومن الأمثلة الأخرى التى يمكن أن نستشهد بها فى هذا المجال هو مسجد قبة الصخرة فى ساحة المسجد الأقصى، شكل (٥)، فكما هو معروف فان المسجد الأقصى قد تم بناؤه على هضبة مرتفعة نسبيا عن باقى مدينة القدس، كما تم بناء قبة الصخرة على منطقة أكثر ارتفاعا (مصطبة) يتم الوصول إليها بدرج، هذا من ناحية اختيار الموقع المميز المرتفع، كما روعى فى تصميم قبة الصخرة الشكل الخارجى الجميل والمميز بقبته المكسوة برقائق معدنية ذات لون ذهبى أخاذ، فأصبحت بذلك قبة الصخرة أهم علامة بصرية تميز مدينة القدس الشريف.

(1) John D. Hoag (1975). Islamic Architecture. Harry N. Abrams, Inc., Publishers, New York, pp. 152

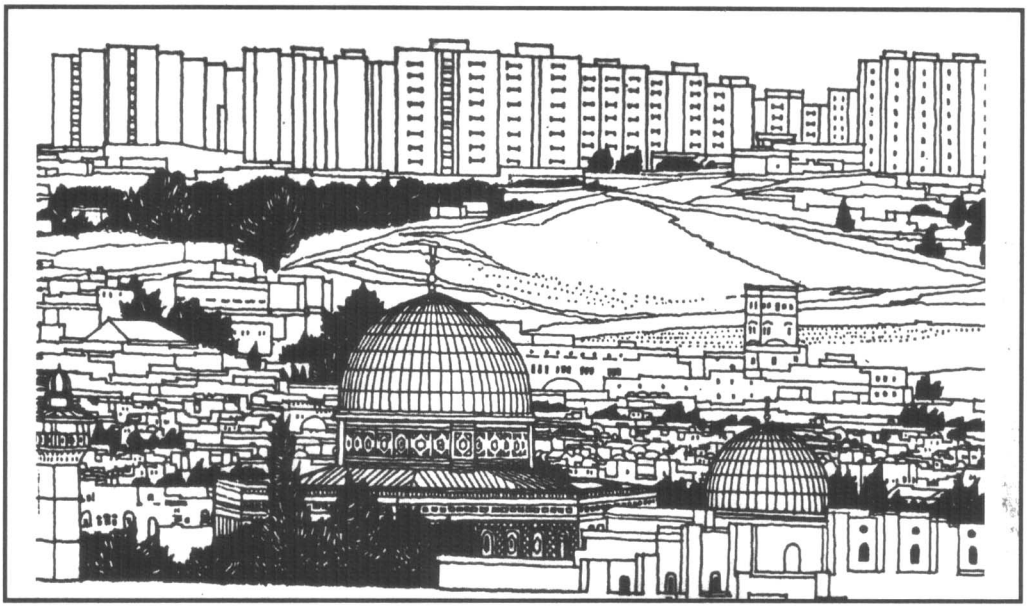

شكل (٥): مبنى قبة الصخرة أحد العلامات البصرية المميزة بمدينة القدس الشريف[١].

إن الأمثلة التى تدل على وجود العلامات المميزة منتشرة فى مختلف مدن العالم القديمة والحديثة على حد سواء، وهى لايشترط أن تكون مبانى فقط بل يمكن أن تكون أبراج على جبال مرتفعة، أو تماثيل فى مداخل المدن ومن أشهرها تمثال الحرية فى نيويورك وغيرها من الأمثلة العديدة التى يضيق المجال عن ذكرها، وما يهمنا التدليل عليه هنا هو السبق القرآنى فى التنبيه على وجود "العلامات المميزة" كأحد عناصر التصميم البصرى داخل المدن والحواضر المعمارية وذكر أهم المعايير التصميمية لها، وهو ما يتم تدريسه الآن فى مناهج تخطيط المدن فى جميع كليات العمارة وتخطيط المدن فى جميع أنحاء العالم.

---

(١) يحيى وزيرى (٢٠٠٥) . التطور العمرانى والتراث المعمارى لمدينة القدس الشريف. الدار الثقافية للنشر، القاهرة.

٢ - اكتشاف مكان مدينة "إرم":

من دلائل إعجاز القرآن الكريم فى مجال تاريخ العمارة والآثار هو اكتشاف مكان مدينة "ارم"، حيث ذكر العالم المصرى الدكتور زغلول النجار[١] أنه فى سنة ١٩٨٤م قد تم تزويد أحد مكوكات الفضاء بجهاز رادار له القدرة على اختراق التربة الجافة إلى عمق عدة أمتار، يعرف باسم جهاز رادار اختراق سطح الأرض، فكشف عن العديد من المجارى المائية الجافة مدفونة تحت رمال الحزام الصحراوى الممتد من موريتانيا غربا إلى أواسط آسيا شرقا.

وبدراسة الصور المنشورة اتضح وجود آثار مدقات للطرق القديمة المؤدية إلى عدد من أبنية مدفونة تحت الرمال السافية التى تملأ حوض الربع الخالى، وعدد من أودية الأنهار القديمة والبحيرات الجافة التى يزيد قطر بعضها عن عدة كيلو أمتار.

وقد احتار الدارسون فى معرفة حقيقة تلك الآثار، فلجأوا إلى الكتابات القديمة الموجودة فى إحدى المكتبات المتخصصة فى ولاية كاليفورنيا وتعرف باسم مكتبة هنتنجتون، والى عدد من المتخصصين فى تاريخ شبه الجزيرة العربية القديم وفى مقدمتهم الأمريكى "جوريس زارينز"، والبريطانى "رانولف فينيس"، وبعد دراسة مستفيضة أجمعوا على أنها هى آثار عاصمة ملك عاد التى ذكر القرآن الكريم أن اسمها "ارم" كما جاء فى سورة الفجر، والتى قد عمرها بالفترة من ٣٠٠٠ق.م. إلى أن نزل بها عقاب ربها فطمرتها عاصفة رملية غير عادية، وعلى الفور قام "معهد كاليفورنيا للتقنية" بإعداد تقرير مطول يضم نتائج الدراسة، ويدعو رجال الأعمال والحكومات العربية إلى التبرع بسخاء للكشف عن تلك الآثار التى تملأ فراغا فى تاريخ البشرية، وكان عنوان التقرير هو: البعثة عبر الجزيرة، وتحت العنوان مباشرة جاءت الآيتان الكريمتان رقم ٧، ٨ من سورة الفجر.

---

(١) أنظر كلا من: * زغلول النجار (١٩٩٢). اكتشاف مدينة "ارم ذات العماد التى تحدث عنها القرآن منذ ١٤ قرنا. جريدة الأهرام (١٠/ ٤/ ١٩٩٢)، القاهرة،ص١٤.

* زغلول النجار (٢٠٠٢). من أسرار القرآن. جريدة الأهرام (٧/ ١٠/ ٢٠٠٢)، القاهرة،ص١٢.

وفى يناير سنة ١٩٩١م بدأت عمليات الكشف عن الآثار فى المنطقة التى حددتها الصور الفضائية واسمها الحالى "شيصار"، شكل (٦)، واستمر إلى مطلع ١٩٩٨م وأعلن خلال ذلك عن اكتشاف قلعة ثمانية الأضلاع سميكة الجدران بأبراج فى زواياها مقامة على أعمدة ضخمة يصل ارتفاعها إلى ٩ أمتار وقطرها إلى ٣ أمتار ربما تكون هى التى وصفها القرآن الكريم.

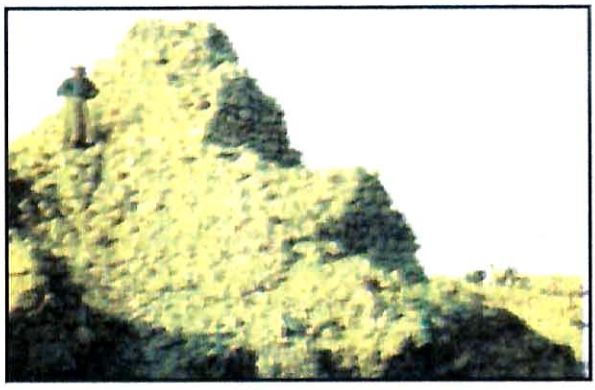

شكل (٦): جانب من أسوار وآثار مدينة "ارم" المكتشفة فى نهاية القرن العشرين[١].

(١) زغلول النجار (من أسرار القرآن): المرجع السابق، ص١٢.

إن هذه الكشوف الأثرية الحديثة التى تثبت ما جاء فى القرآن الكريم عن قوم عاد ومدينتهم "ارم" وما أصابها من دمار بعاصفة رملية غير عادية يعتبر احدى صور الإعجاز التاريخى - فى مجال تاريخ الحضارات السابقة وفى مجال تاريخ العمارة أيضا- فى كتاب الله تشهد له بأنه لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثانيا - الإعجاز فيما ورد ذكره عن حضارة ثمود:

كانت قبيلة "ثمود" يسكنون الحجر الذى بين الحجاز وتبوك، وقد مر به رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو ذاهب إلى تبوك بمن معه من المسلمين، وكانوا بعد قوم عاد وكانوا يعبدون الأصنام كأولئك[1]، وكانت لهم حضارة مادية عظيمة تتجلى فى بناء القصور الفخمة فى السهول ونحت البيوت فى الجبال، يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[2]، لقد تميزت حضارتهم بالرفاهية العمرانية حيث اتخاذ القصور فى السهول حيث طبيعة البيئة والمناخ تختلف عن اتخاذ البيوت المنحوتة فى الجبال، فهم أقاموا أماكن صيفية وأخرى شتوية لرفاهيتهم[3].

ورد فى تفسير الآية الكريمة السابقة ما يلي[4]: "واذكروا نعمة الله عليكم، إذ جعلكم تخلفون فى الأرض من قبلكم، من بعد قبيلة عاد، ومكن لكم فى الأرض الطيبة تنزلونها فتبنون فى سهولها البيوت العظيمة، وتنحتون من جبالها بيوتا أخرى، فاذكروا نعم الله عليكم ولاتسعوا فى الأرض بالإفساد".

ويقول الإمام القرطبى فى تفسيره[5]:" اتخذوا البيوت فى الجبال لطول أعمارهم،

---

(١) انظر: ابن كثير (قصص الأنبياء): مرجع سابق، ص ١٠٤.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٧٤.
(٣) يحيى وزيرى (التعمير فى القرآن والسنة): مرجع سابق، ص ١٤.
(٤) نخبة من العلماء (التفسير الميسر): مرجع سابق، ص١٦٠.
(٥) أنظر تفسير الآية (٧٤) من سورة الأعراف فى الجامع لأحكام القرآن للقرطبى.

فان الأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم"، ويقول الإمام ابن كثير[1]: "وقد ذكر أن قوم صالح كانت أعمارهم طويلة، فكانوا يبنون البيوت من المدر فتخرب قبل موت الواحد منهم، فنحتوا لهم بيوتا فى الجبال".

ولم تقتصر الحضارة الثمودية على الرفاهية العمرانية فقط بل حولوا السهول إلى جنات وارفة الظلال متنوعة الثمار، فجمعوا بذلك بين فخامة العمران وإنشاء الحدائق وغرس الجنان، وفى هذه المعانى يقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴾[2]، فالله سبحانه وتعالى أنعم عليهم وجعلهم فى أمن من المحذورات وأنبت لهم من الجنات وفجر لهم العيون الجاريات وأخرج لهم من الزروع والثمرات، كل ذلك إلى جانب البيوت القوية الآمنة سواء كانت منحوتة فى الجبال أو مقامة فى السهول.

من دراسة الآيات التى تقص علينا مدى الرقى والرفاهية الحضارية التى وصلت إليها الحضارة الثمودية، فانه يمكن وضع تصور لما كانت عليه حاضرة ثمود والتى كانت تقع فى منطقة الحجر بين الحجاز وتبوك.

فقد كانت حاضرة دولة ثمود القوية مدينة تقع فى منطقة آمنة سهلة تحيط بها سلسلة من الجبال، وكانت المنطقة تزخر بعيون المياه العذبة تحف بها الحدائق وزراعات النخيل بالإضافة إلى الحقول التى كانت تزرع محاصيل شتى، وفى هذا يقول تبارك وتعالى على لسان سيدنا النبى صالح موجها كلامه إلى قومه: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾، وكانوا يبنون قصورا من الأحجار والصخور فى الوديان وسط جناتهم وبساتينهم، كما كانوا ينحتون فى الجبال بيوتا يعيشون فيها مطمئنين من أن تقع عليهم، ويمكن أن يستدل من الآيات الكريمة ﴿ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ

---

(١) ابن كثير (قصص الأنبياء): مرجع سابق.

(٢) سورة الشعراء: الآيات ١٤٦-١٤٩.

بُيُوتًا ﴾[1]، و﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴾[2]، على ما وصل إليه الثموديون من براعة وتقدم فى وسائل البناء والتشييد حيث تنوعت الوسائل بين النحت فى الجبال، وقص الأحجار ونقلها لاستعمالها فى أعمال البناء المختلفة[3].

فهم كانوا ينحتون بيوتا فى الجبال أى يخرقونها فى الجبال آمنين من الموت وقيل من العذاب ركونا منهم على قوتها ووثاقتها، وبالرغم من ذلك أخذتهم الصيحة مصبحين أى داخلين فى وقت الصبح[4]، كما نقلوا ناتج الصخور التى نحتوها وبروها من الجبال إلى السهول والوديان وقطعوا هذه الصخور ثم استخدموها فى إقامة القصور الفخمة الفارهة فى وسط الجنات والبساتين والطبيعة الخلابة.

هذه هى الصورة الحضارية الرائعة التى أراد القرآن الكريم أن يوصلها إلى أذهاننا، وتوجد الآن بقايا لبعض القبور المنحوتة فى الجبال الرملية بمدائن صالح والتى تقع على مسافة ١٥ كيلو مترا شمال منطقة "العلا" بالسعودية، شكل (٧)، كما توجد بالقرب من منطقة المقابر آثار مستوطنات قديمة ربما كانت مساكنا لسكان مدائن صالح فى عصورها المختلفة[5].

*** من أوجه الإعجاز العلمى فيما ورد عن الحضارة الثمودية:**

بعد أن تعرفنا على جوانب التقدم الحضارى والعمرانى فى الحضارة الثمودية، يبرز هنا تساؤل عن جانب الإعجاز العلمى فى هذه الحضارة المعمارية العظيمة؟، ولكى نجيب على هذا التساؤل يجب أولا أن نوضح الفرق بين الظروف المناخية والتى يمكن أن تؤثر على الإنسان حين يسكن فى المناطق الجبلية أو المناطق السهلية والأودية المجاورة لها.

---

(١) الأعراف: من الآية ٧٤.

(٢) الفجر: الآية ٩.

(٣) حازم إبراهيم وعمر عبد الله قاضى (١٩٨١). تخطيط المدن فى المملكة العربية السعودية. شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة، الرياض، ص٢٤، ٢٥،

(٤) أنظر تفسير الآية (٨٣) من سورة الحجر فى فتح القدير للإمام الشوكانى.

(٥) مقدمة عن آثار المملكة العربية السعودية (١٩٧٥). إدارة الآثار والمتاحف، وزارة المعارف، السعودية، ص٩٧.

بعض واجهات المقابر المنحوتة فى الجبال.

بعض الأعمدة المنحوتة.

شكل (٧): بعض بقايا آثار الحضارة الثمودية بمنطقة "العلا" بالسعودية[١].

---

(١) حازم إبراهيم وعمر عبد الله قاضى: المرجع السابق، ص ٢٦.

يتكون فى بعض الأماكن دورات هوائية محلية نتيجة اختلاف طبيعة سطح الأرض فى هذا المكان ومن أهم الدورات ما يعرف بنسيم البر والبحر، ونسيم الجبل والوادى، وما يتصل بموضوعنا هنا هو النوع الثانى من هذه الرياح المحلية.

ففى المناطق الجبلية تختلف درجة حرارة الهواء الملامس لسفوح الجبال والتلال عن درجة حرارة الهواء البعيد عنه على نفس الارتفاع، وينتج عن ذلك دوامات هوائية محلية تعكس اتجاهها ما بين الليل والنهار مسببة ما يعرف باسم الرياح السفحية الصاعدة Anabatic (نسيم الوادى)، والرياح السفحية الهابطة Katabatic (نسيم الجبل)، وفيما يلى سنوضح طبيعة كل نوع من هذه الرياح المحلية[1]:

أ - نسيم الوادى:

أثناء النهار تكون درجة حرارة الهواء الملامس لسفح الجبل أو التل أكبر من درجة حرارة الهواء البعيد عنه فتقل كثافته ويصعد إلى أعلى، ويتكون نتيجة ذلك دورة هوائية محلية وتسمى الرياح الصاعدة على سفوح الجبال باسم "الرياح السفحية الصاعدة"، شكل (٨-أ).

ب - نسيم الجبل:

أثناء الليل يبرد الهواء عند سفح الجبل أو التل بدرجة أكبر مما يبرد به الهواء البعيد عنه فتزداد كثافته ويهبط إلى الوادى، ويتكون نتيجة لذلك دورة هوائية محلية ويسمى الهواء الهابط على سفح الجبل باسم "الرياح السفحية الهابطة"، شكل (٨-ب).

مما سبق يمكن أن نتفهم لماذا اتخذ واختار الثموديون قصورا فى المناطق السهلية والأودية وبيوتا فى الجبال، وذلك لاختلاف طبيعة المناخ فى كل منهما على مدى الليل والنهار وبالتالى صيفا وشتاء، وذلك لأن نسيم الجبل (الرياح السفحية

---

(١) عبد القادر محمد العاملى وخليل عبد الفتاح خليل (١٩٦٥).الأرصاد الجوية للطيران. وزارة الطيران المدنى، القاهرة، ص١٧٦.

الهابطة) الهابط ليلا على الوادى يكون مستحبا فى ليالى الصيف فيمكن فى هذه الحالة المبيت فى هذه القصور والمبانى الفخمة، أما فى الشتاء فان نسيم الجبل لايكون مستحبا فى ظل برودة الجو ليلا فيلجأ الثموديون إلى البيوت المنحوتة فى الجبال حيث يكون الجو أكثر دفئا داخل هذه البيوت قياسا ببيوت السهول.

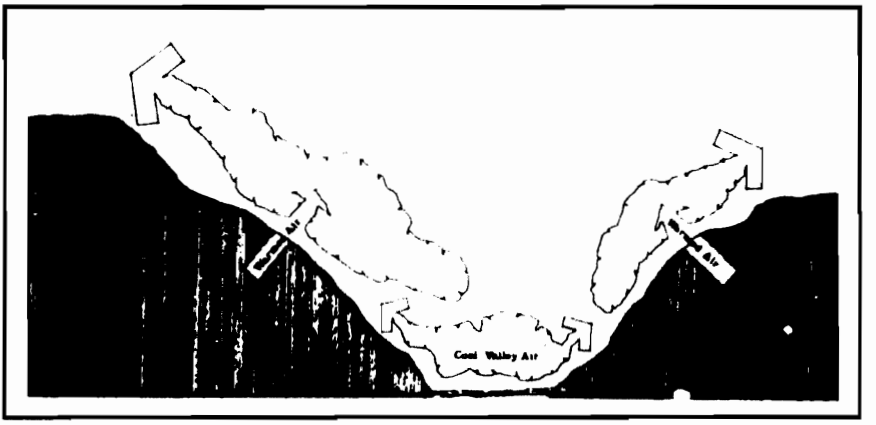

شكل (٨ -أ): نسيم الوادى نهارا، وهو ما يسمى أيضا بالرياح السفحية الصاعدة[١].

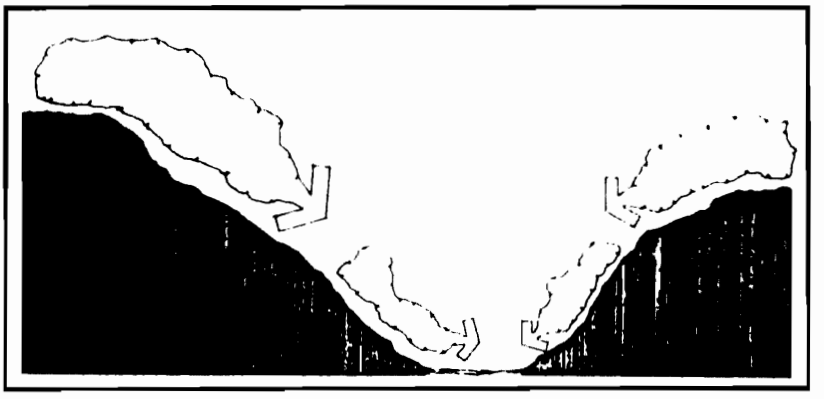

شكل (٨ -ب): نسيم الجبل ليلا، وهو ما يسمى أيضا بالرياح الجبلية الهابطة[٣].

وهذا يعنى أن الآيات الكريمة أرادت أن توضح لنا أن اتخاذ القصور فى السهول والبيوت فى الجبال لايعبر فقط عن الرفاهية العمرانية التى كانت تميز

(١)،(٢) محمد محمد البراملجى (١٩٨٧). الطبيعة والمدن الصناعية. المجلة المعمارية، عدد (٨،٧)، جمعية المهندسين المعماريين المصرية، القاهرة، ص٨٢.

الحضارة الثمودية، وإنما كانت تعنى أنهم استطاعوا أن يتغلبوا على الظروف المناخية الصحراوية الصعبة فى فصلى الصيف والشتاء، فأقاموا بيوتا تصلح للإقامة صيفا وأخرى تصلح للإقامة شتاء، وهو ما يتفق مع أسس علم التصميم البيئى ومراعاة الظروف المناخية المحلية لكل بيئة ومنطقة، وهو سبق قرآنى فى هذا المجال يعطى لفتة اعجازية تدخل ضمن إعجاز القرآن فى مجال علوم العمران والبنيان.

ثالثا: من أوجه الإعجاز فيما ورد ذكره عن حضارة فرعون موسى:

لايستطيع أحد أن ينكر مدى التقدم الحضارى والمعمارى الذى اتصف به الفراعنة فى دولة مصر القديمة، ولايزال الكثير من آثارها المعمارية باق وشاهد على ذلك ويتمثل ذلك فى المعابد والأهرامات والمسلات وغيرها.

كما لم تقتصر هذه الحضارة على إقامة المبانى الضخمة والمتقنة الإنشاء، بل منّ الله عليهم بالأنهار والجنات الأرضية أيضا، ويتضح لنا ذلك من قول فرعون مفتخرا على قومه ورعيته: ﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَ�ٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[1]، وفى معنى هذه الآية يقول الإمام القرطبى[2]: "أى نادى فرعون رؤساء القبط وعظماءهم لما رأى الآيات الباهرة من موسى وخاف أن يؤمنوا، فقال مفتخرا متبجحا: أليست بلاد مصر الواسعة الشاسعة ملكا لي؟ وهذه والخلجان والأنهار المتفرعة من نهر النيل تجرى من تحت قصوري؟، ومعظمها أربعة: نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس، ولكنها من النيل، وقال قتادة: كانت جنانا وأنهارا تجرى من تحت قصوره".

ومن الملاحظ أنه رغم ماهو معروف عن آثار الحضارة الفرعونية المبهرة وماحوته من مبانى ومعابد ضخمة ومتنوعة فان القرآن الكريم لم يذكر صراحة عن هذه الآثار أى شيء، فيما عدا ذكره لواحد من هذه المبانى وهو لم يعرف أو يتم

---

(١) سورة الزخرف: الآية ٥١.

(٢) أنظر تفسير الآية ٥١ من سورة الزخرف فى الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى.

اكتشافه حتى عصرنا الحالى، ونقصد هنا الصرح الذى جاء ذكره مرتين فى سورة غافر وسورة القصص.

ففى سورة غافر يخبرنا القرآن عن هذا الصرح على لسان فرعون بقوله: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ۝ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ﴾[1]، ثم يتضح لنا من سورة القصص أن مادة بناء هذا الصرح هى الطين المحروق وذلك من قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[2]، هذا هو كل ما ورد فى القرآن الكريم فى وصف هذا الصرح من أنه بناء عال من الطين المحروق والغرض منه هو أن يبلغ فرعون أسباب السماوات فيطلع إلى اله موسى على حد زعمه.

*** من أوجه الإعجاز فيما ورد عن حضارة فرعون موسى:**

تشير الآية (٣٨) من سورة القصص إلى عدة ملامح اعجازية منها:

١ - تأليه فرعون نفسه:

فى قوله ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾، فالأبحاث الأثرية التى قامت حول الحضارة المصرية القديمة تؤكد أن الفراعنة منذ الأسرة الرابعة كانوا يصرحون ببنوتهم للإله رع الذى يمثل إله الشمس والذى كان يعبدها قدماء المصريين، بل إن اسم رع دخل فى ألقاب الفراعنة، مثل (رع نب) أى الرب الذهبى ولعل أوضح دليل على تأليه الفراعنة لأنفسهم كما يقول (بريستد) عالم الآثار، والتى حفظتها نصوص الأهرام هى أنشودة للشمس تردد فيها هوية الملك بإله الشمس، إن هذه الأنشودة تخاطب مصر، فى تعداد طويل ورائع للمنافع التى تستمتع بها تحت حماية

---

(١) سورة غافر: الآيتان ٣٦، ٣٧.

(٢) سورة القصص: الآية ٣٨.

وسيادة إله الشمس، فعلى ذلك يمُنح فرعون مصر المنافع نفسها، ولهذا يجب أن يتسلم نفس الهبات من مصر، ولذا الأنشودة بأكملها تعاد بوضع اسم فرعون أينما يجيء اسم رع أو حورس فى الأنشودة الأصلية[1].

٢ - الإعجاز الثانى هو استعمال الفراعنة الآجرّ فى بناء الصروح:

فقد طلب فرعون من هامان أن يبنى له من الطين المحروق (الآجر) صرحاً، وهذا يعتبر من الإعجاز التاريخى للقرآن الكريم فقد ظل الاعتقاد السائد عند المؤرخين أن الآجر لم يظهر فى مصر القديمة قبل العصر الرومانى، شكل (٩)، وذلك حسب رأى المؤرخين، والذى يرى فى ذلك إشكالاً فى أن الآيات السابقة التى تبين طلب فرعون من هامان أن يبنى له صرحاً من الآجر أو الطين المحروق وظل هذا هو رأى المؤرخين إلى أن عثر عالم الآثار "بترى" على كمية من الآجر المحروق بنيت به قبور وأقيمت به بعضاً من أسس المنشآت، ترجع إلى عصور الفراعنة رعمسيس الثانى ومرنبتاح وسيتى الثانى من الأسرة التاسعة عشر (١٣٠٨ - ١١٨٤ ق. م) وكان عثوره عليها فى موقع أثرى غير بعيد من (بى رعمسيس أو قنطير) عاصمة هؤلاء الفراعنة فى شرق الدلتا[2].

٣ - أما الإعجاز الثالث هو الإشارة إلى أحد أعوان فرعون باسم "هامان":

فالملاحظ أنه تم ذكر اسم "هامان" ست مرات فى القرآن الكريم، فى أربعة آيات فى سور متعددة (فى سورة القصص الآيات (٦، ٨)، وسورة العنكبوت الآية (٣٩)، وسورة غافر الآية (٢٤)، وجاء ذكر اسمه مرتان فى سياق الآيتين اللتين تتحدثان عن أمر فرعون له ببناء الصرح، فى حين أن فرعون لم يرد ذكر اسمه ولامرة واحدة، وهو شيء لافت للنظر، وهذا هو مكمن الإعجاز القرآنى.

---

(١) موقع (موسوعة الاعجاز العلمى فى القرآن والسنة) على الانترنت بعنوان :
WWW. 55 A . net

(٢) المرجع نفسه.

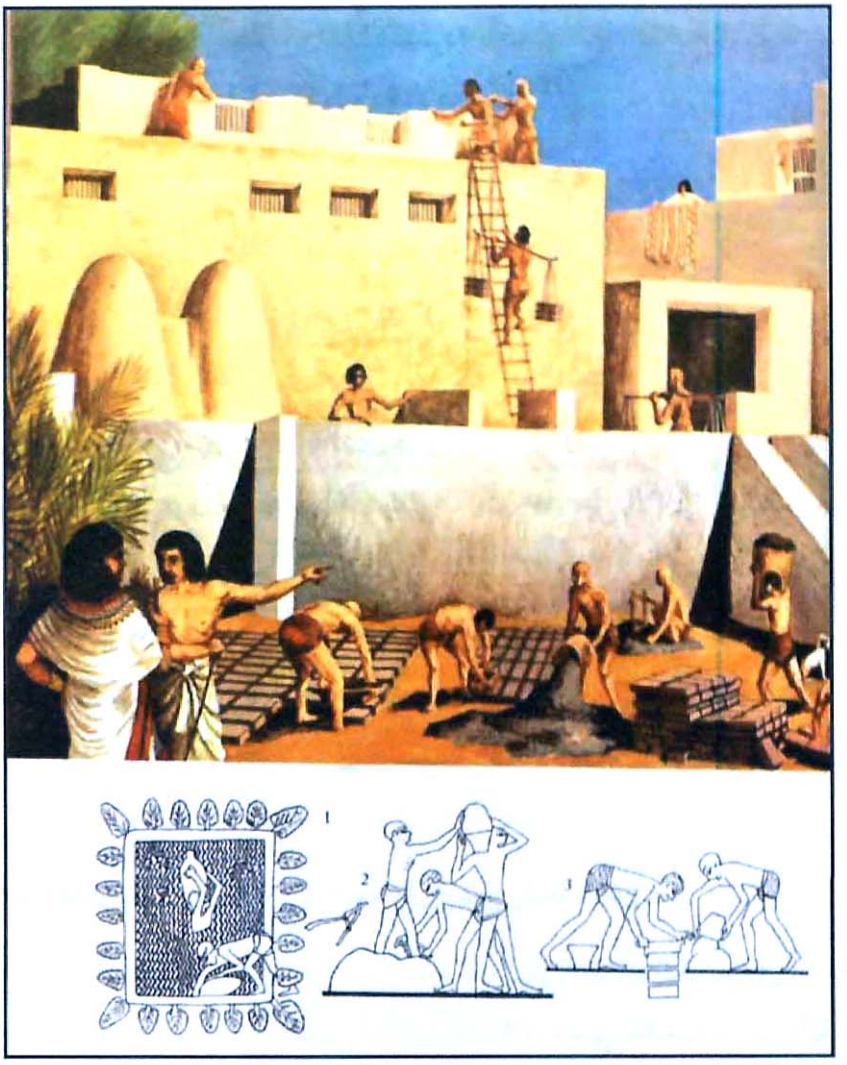

شكل (٩)

رسم يوضح استخدام الفراعنة للطين فى بناء المبانى، ولكن القرآن الكريم أوضح أيضا استخدامهم للطين المحروق (الآجر) وهو ما يعتبر سبقا وإعجازا قرآنيا فى مجال تاريخ العمارة[١].

(1) Helen & Richard Leacroft (1977). The buildings of Anchient Egypt. Hodder & Stoughton, London, pp. 28.

وفى ذلك نستدل بما جاء فى بحث حديث للدكتور باسم طارق جمال عن هذا الملمح الاعجازى للقرآن الكريم حيث يقول[1]: "ورد اسم هامان مرة واحدة فقط فى أحد كتب العهد القديم، ويتحدث هذا الكتاب عن شخص اسمه هامان كان مساعدا لملك بابل وعلى أنه أوقع الكثير من الضرر واشتد فى قسوته على الإسرائيليين، ولكن هذه القصة تحكى عن شخص ظهر بعد سيدنا موسى-عليه السلام- بحوالى ١١٠٠سنة، ويدعى بعض غير المسلمين أن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام هو الذى كتب القرآن وأنه نسخ قصص الأمم السابقة من التوراة والإنجيل، وأنه أخطأ فى نقل بعض الروايات إلى القرآن الكريم، وأن هذا هو سبب وجود بعض الاختلافات بين القرآن والكتب الأخرى،..وأنه أخطأ فى النقل فأشار إلى هامان على أنه وزير فرعون بينما على حسب ما يدعون هذا الاسم أطلق على شخص واحد فقط وهو مساعد ملك بابل، حاشاه- عليه الصلاة والسلام- مما يدعون".

ثم يوضح الدكتور باسم طارق جمال فى بحثه القيم أن ظهور بطلان هذه الادعاءات بعد أن حلت رموز وحروف الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة منذ حوالى مائتى سنة مضت، وأصبح من الممكن فهم الكتابات والنقوش الفرعونية، فمن خلال ترجمة الكتابات والنقوش الهيروغليفية تم التعرف على معلومة مهمة جدا، وهى أن اسم هامان ورد فعلا فى الكتابات المصرية القديمة، وتوجد إشارة إلى هذا الاسم فى نصب فى متحف "هوف" فى فيينا، كما ظهر فى كتاب بعنوان People in the new Kingdom الذى تم إعداده استنادا إلى مجموعة من النقوش أن هامان كان "رئيس عمال الحجارة".

---

(١) باسم طارق جمال (٢٠٠٣). لفتة قرآنية فى علم الآثار. مجلة الإعجاز العلمى، عدد(١٤)، الهيئة العالمية للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة، جدة، ص٣٣،٣٢.

إذًا عكس ما يدعيه غير المؤمنين بالقرآن الكريم من أنه ليس بوحى قد أوحى إلى خاتم الرسل محمد عليه الصلاة والسلام، فان فك طلاسم حجر رشيد أظهرت أن هامان هو شخصية حقيقية عاشت فى مصر فى زمن سيدنا موسى وأنه كان مقربا من فرعون مصر، وكان مسئولا عن عمليات الإنشاء والبناء، وهذا ما يفسر أن فرعون كان يوجه له الأوامر ببناء الصرح من الطين المحروق، وهذا لايمنع أن يكون فرعون قد قرب هامان إليه وجعله وزيرا له ومستشارا له فى أمور أعمال البناء والإنشاء فى مملكته، خاصة وأن قدماء المصريين قد عرف عنهم شغفهم وحبهم لإنشاء المبانى الدينية والدنيوية أيضا.

وعلى هذا فان ورود اسم هامان ست مرات فى القرآن الكريم ووجوده فى الكتابات المصرية القديمة لايرد فقط على الادعاءات الباطلة من المعادين للقرآن الكريم، ولكنه يؤكد حقيقة أن القرآن وحى من الله سبحانه وتعالى، وأنه كتاب معجز فى مجال المعلومات التاريخية وفى مجال تاريخ العمارة تحديدا وهو موضوع الآيات الكريمة التى تناولناها، لأن هذه الأحداث لم تكن معروفة فى وقت بعثة النبى عليه أفضل الصلاة والتسليم.